النصر البيروسي
نماذج تاريخية يونانية ورومانية(*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ شروق سمير هيكل
مدرس التاريخ اليوناني والروماني
كلية الآداب جامعة المنصورة

الملخص:

النصر البيروسي يعني انتصار إحدى قوتين (أقرب إلى التكافؤ في القوة) على الأخرى بشق الأنفس مع تكبد خسائر فادحة في ميدان المعركة ويكون النصر أقرب إلى الهزيمة. ويعزو ذلك النوع من النصر إلى الملك الإبيروسي بيروس الذي دفع ثمنًا باهظًا لانتصاره على الرومان في بداية العقد الثامن من القرن الثالث ق.م.؛ فقد كلفه ذلك النصر ما يزيد عن سبعة آلاف وخمسمائة جندي، وبيروس رغم انتصاره غير قادر على فرض سيطرته، وروما رغم هزيمتها لا تزال قادرةً على الصمود. وبالتالي ألحق ذلك النصر ضررًا لبيروس المنتصر فكان نصرًا مكلفًا. ومما لا شك فيه أن التاريخ اليوناني والروماني يحتوي على صورٍ مشابهة من النصر البيروسي فكانت هناك انتصارات تكلفت حياة (روح) قوى المنتصر بمساعدة عوامل خارجية رغم اكتساحه مما يجعله يتضرع مرارة التكلفة بدلًا من لذة الفوز. ولذلك ستتناول هذه الدراسة أولًا: نصر بيروس ملك إبيروس في معركتي: هيراكليا ٢٨٠ق.م. وأسكولوم ٢٧٩ق.م.، ثم ستعرض نماذج للنصر البيروسي من خلال ثانيًا: معركة مانتنيا ٣٦٢ق.م. وثالثا: معركة أوينوباراس ٢٤٥ق.م. ورابعًا: معركة روما ضد البارثيين ١٦٥م.

الكلمات الدالة: بيروس- هيراكليا- أسكولوم- مانتنينا- أوينوباراس- روما والبارثيين.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٦)، يناير ٢٠٢٢.

The Pyrrhic victory
Greco Roman historical models

Abstract:

The Pyrrhic victory means the hard-earned victory of one of two powers (closer to parity in strength) over the other, with losses incurred on the battlefield, and victory is closer to defeat. This kind of victory is attributed to the Eberian king Pyrrhus, who paid a heavy price for his victory over the Romans at the beginning of the eighth decade of the third B.C.; That victory cost him more than seven thousand five hundred soldiers, and Pyrrhus, despite his victory, was unable to impose his control, and Rome, despite its defeat, is still able to withstand. Thus, that victory inflicted damage on Pyrrhus the victor and was a costly victory. Undoubtedly, Greco Roman history contain similar images of the Pyrrhic victory, and there were victories that cost the victors forces life (soul) with the help of external factors despite his overwhelm, which makes him taste the bitterness of cost instead of the pleasure of victory. Therefore, this study will first deal with: The victory of Pyrrhus, king of Epirus, in two battles: Heraklia 280B.C. and Asculum 279B.C. Then models of the Pyrrhic victory will be presented through Second: The battle of Mantenia 362B.C. Third: The battle of Oenoparas 145B.C. and Forth: The battle of Rome against Parthians 165A.D.

Key Words: Pyrrhus- Heraklia- Asculum- Mantenia- Oenoparas- Rome and Parthians.

“ἂν ἔτι μίαν μάχην Ῥωμαίους νικήσωμεν ‹ἀπολούμεθα παντελῶς”. (Plut., Pyrrhus, XXI.9).

"**انتصارٌ آخر مثل هذا على الرومان سيقضي علينا تمامًا**" هكذا قال بيروس Πύρρος ملك إبيروس وهو يحصي جنوده وعتاده بعد أن انتصر على روما خلال العصر الجمهوري في معركة أسكولوم عام ٢٧٩ق.م.؛ فقد اكتشف بيروس أنه بالرغم من تحقيق انتصارٍ عسكري على الرومان في أرض المعركة إلا أنه أهدر قواتٍ مسلحة ضخمة أفقدته قيمة الانتصار فأصبح نصرًا كارثيًا، ولذلك اُشتق من اسمه مصطلح النصر البيروسي

للدلالة على النصر الفاسد (الخبيث) الذي يؤذي صاحبه. إن هذا النوع من النصر المقترن بإهدارٍ للقوى الكبيرة يكون مدمرًا للمنتصر أكثر من المنهزم مما يجعل له عواقبًا وخيمةً؛ ولذلك فمن الضروري تاريخيًا تحديد (معرفة) الانتصارات البيروسية لتجنب الوقوع في خطأ اعتبار سبب آخر لحالة الضعف التي تلي هذا النصر (على اعتبار أنه انتصارٌ) وهي في الأصل من عواقبه.

من خلال هذه الدراسة سأحاول تناول نماذج تاريخية من المصادر الأدبية لمعارك في العالم اليوناني والروماني: اليونان، مصر في عصر البطالمة، روما في العصر الإمبراطوري، والتي يمكن تصنيف الانتصار فيها على أنه نصر بيروسي. وفي البداية لابد أولًا من إلقاء الضوء على انتصار الملك بيروس في روما بشيء من التفصيل وذلك لمحاولة معرفة كيف يتشكل النصر البيروسي؟

نصر بيروس ملك إبيروس في معركتي هيراكليا ٢٨٠ق.م. وأسكولوم ٢٧٩ق.م.

تولى بيروس* (٣٠٧-٢٧٢ق.م.) عرش مدينة إبيروس* في بلادٍ اليونان وهو في سن الثانية عشرة من عمره، لكن لم يدم له العرش طويلًا حيث أُطيح به بعد قيام ثورة ضده عام ٣٠٢ق.م. فلجأ إلى ديمتريوس بن أنتيجونس ملك مقدونيا[١]. ويذكر المؤرخون[٢] أن بيروس تدخل مع ديمتريوس في الصراعات التي كانت بين بطلميوس الأول (سوتير) ملك مصر ولوسيماخوس ملك تراقيا وسليوقس ملك بابل وشارك في معركة أبسوس (عام ٣٠١ق.م.). وعندما تصالح ديمتريوس مع سوتير أبحر مع حليفه إلى مصر (كرهينة لديمتريوس) عام ٣٠٠/ ٢٩٩ق.م. وهناك تزوج من انتتيجوني (ابنة عم برنيكي زوجة سوتير). وبمساعدة سوتير عاد بيروس لعرشه في إبيروس (وهو في سن التاسعة عشرة) ثم انقلب على حليفه ديمتريوس ودخل معه في حروبٍ للسيطرة على غرب مقدونيا. ويذكر بلوتارخ[٣] أن الملك الشاب سعى للارتقاء بقواته العسكرية وتطوير مهامه القيادية لإعداد جيشٍ (جنود) على غرار جيش الإسكندر الأكبر. ويبدو أن شهرة بيروس العسكرية قد وصلت إلى مستوطنات الإغريق في جنوب

إيطاليا في أوائل القرن الثالث ق.م. وهو الأمر الذي شجع إحدى المستوطنات وهي تارينتوم *Tarentum* (أو تاراس Τάρας) لطلب المساعدة (التحالُف) مع بيروس ضد روما عام ٢٨١ق.م.

في روما كان الرومان يعملون بمنتهى الجد من بداية القرن الخامس ق.م. لتوحيد إيطاليا تحت رايتهم، وكما نعلم أن من النصف الثاني من القرن الثامن ق.م. كانت قد قامت حركة الهجرة والاستيطان من بلاد اليونان إلى منطقة جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية، وأسس الإغريق العديد من المستوطنات هناك حتى أُطلق على المنطقة اليونان العظمى. وكانت تلك المستوطنات في صراع فيما بينها كما هو حال مدنها الأم التي أسستها[٤] كانت مستوطنة تارينتوم (أسستها اسبرطة عام ٧٠٦ق.م.) أقوى مستوطنة في جنوب إيطاليا بسبب ثرائها الاقتصادي (بفضل موقعها الجغرافي وسيطرتها على طرق التجارة)، وقد تمكنت تارينتوم خلال القرن الخامس ق.م. من السيطرة العسكرية على باقي المستوطنات الإغريقية في إيطاليا وهو ما دفع روما قرب نهاية القرن الرابع ق.م. –خلال فترة انشغالها بحروبها مع السامنيين التي بدأت من النصف الثاني من القرن الرابع ق.م.– إلى عقد معاهدة عام ٣٠٢ق.م. مع تارينتوم تقضي باعتراف روما بزعامة تارينتوم على مستوطنات جنوب إيطاليا وبعدم دخول السفن الرومانية إلى خليج تارينتوم، وتم الاتفاق على أن تكون رأس لاكينيا (جنوب مستوطنة كروتون*) نقطةً فاصلةً لتحديد منطقة الإقليم المائي لتارينتوم. لكن اهتمام الرومان بالجنوب –خاصة بعد انتهاء الحرب السامنية الثالثة (٢٩٨–٢٩٠ق.م.)– بدأ يظهر ويتنامى في سبيل السيطرة الكاملة على إيطاليا وهو ما أثار غضب زعيمة مستوطنات الجنوب (تارينتوم)[٥].

وقد حدث عام ٢٨٢ق.م. أن اصطدمت مستوطنة ثوري* باللوكانيين (سكان لوكانيا في جنوب إيطاليا)، ولم تجد ثوري أقوى من روما لطلب المساعدة ضد لوكانيا خاصة أنها كانت على عداء مع تارينتوم، وبالفعل تدخلت روما في الأمر وتمكنت من هزيمة اللوكانيين. ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل بدأت روما في عقد تحالفات مع بعض المستوطنات الأخرى مثل كروتون ولوكري* وريجيوم* وأرسلت لها حامياتٍ عسكرية رومانية كما

فعلت مع ثوري[٦]. وعندما أرسلت روما (بشكل ودي) سفناً ثلاثية المجاديف بقيادة لوكيوس فالريوس Λούκιος Οὐαλλέριος وتجاوزت نقطة الحدود الفاصلة (التي نصت عليها معاهدة ٣٠٢ق.م. بين روما وتارينتوم) أدركت حينها تارينتوم خرق المعاهدة وأن عليها اتخاذ خطواتٍ عسكرية مضادة لروما وهو ما فاجئ الرومان؛ فقامت بتحطيم بعض من السفن الرومانية وأسرت واحدة وأجبرت السفن البقية على التراجع بعد نهبها، وأعقبت ذلك بحملة عسكرية برية على ثوري وتمكنت من طرد الحامية الرومانية هناك. وحين أرسل السناتو الروماني وفدًا برئاسة لوكيوس بوستوميوس Λούκιος Ποστούμιος لتارينتوم لطلب عقد صلح معهم والحصول على تعويضٍ معقول عن السفن التي تحطمت، قابلت تارينتوم الوفد باستهزاءٍ (بوقاحة) مما جعل الرومان يرسلون القنصل لوكيوس أيميليوس Λούκιος Aemĭlĭus لمحاربة تارينتوم عام ٢٨١ق.م.[٧].

كانت تارينتوم تدرك جيدًا حجم قوة روما وأنها أمام عدوٍ لا طاقة لها به؛ لذلك بدأت تبحث عن حليفٍ قوي يساندها في حربها مع الرومان، فوجدت في بيروس ضالتها كنصيرٍ لها، فيذكر المؤرخون[٨] أن في صيف عام ٢٨١ق.م. "أرسلت تارينتوم وإغريق إيطاليا سفراءً مُحملين بالهدايا إلى بيروس وأخبروه أنهم يحتاجون زعيمًا ذا سمعةٍ وحكمةٍ وأنه سيجد هناك قوات كبيرة تصل إلى عشرين ألف فارس وثلاثمائة وخمسين ألف جندي من المشاة تم حشدهم من لوكانيا وميسابيا وسامنيوم وتارينتوم". ووفقًا لما ورد عند باوسانياس[٩] كان بيروس مدينًا لتارينتوم عندما أرسلت الأخيرة أسطولًا لمساعدته في حربه مع جزيرة كوركيرا (عام ٢٨٧ق.م.).

ويذكر بلوتارخ[١٠] أن حكيمًا من ثيساليا يُدعى كينياس Κινέᾱς وهو تلميذ للخطيب ديموستنيس أوضح أن بيروس يستعد (من خلال التحالف مع تارينتوم) لرحلة استكشافية لإيطاليا (من أجل غزوها)، وفي حوار دار بين كينياس وبيروس تساءل كينياس "يُقال أن الرومان يا بيروس، هم مقاتلون جيدون وهم حكام العديد من الدول المحاربة (القوية)، فإذا سمحت لنا السماء بغزو هؤلاء الرجال، فكيف ينبغي لنا أن نستخدم انتصارنا؟ فرد بيروس عليه: سؤالك يا كينياس لا يحتاج حقًا إلى إجابة! لقد غزا الرومان مرة

واحدة، لا توجد مدينة بربرية ولا يونانية تناسبنا، لكننا سنتملك في الحال كل إيطاليا، الحجم الكبير والثراء والأهمية التي لا ينبغي لأحد أن يعرفها أفضل من نفسك. صمت كينياس قليلًا ثم قال: وبعد أخْذِنا إيطاليا، أيها الملكُ، ماذا سنفعل؟ فأجاب بيروس: صقلية قريبة، وتمد يدها إلينا، جزيرة غنية بالثروة والرجال ويسهل الاستيلاء عليها لأن الجميع هناك متفرقين (فصيل) ومدنها ليس لها حكومة، وانتشر الغوغاء الآن بعد رحيل أجاثوكليس (حاكم مستوطنة سيراكيوز الذي توفي عام ٢٨٩ق.م.) فرد كينياس: وهل ستتوقف رحلتنا مع الاستيلاء على صقلية؟ فقال بيروس: السماء تمنحنا" واستمر الحديث بينهما ثم قال بيروس: "من الواضح أن مع تلك القوة العظيمة سنكون قادرين على استعادة مقدونيا وحكم اليونان بأمان".

ومن خلال ما ورد عند بلوتارخ نتبين بوضوح الحماس والطموح الكبير لبيروس في الاستيلاء على إيطاليا وصقلية ومن ثم السيطرة على وحكم بلاد اليونان بأكملها ليصبح بذلك سيد اليونان وإيطاليا، وذلك من خلال تحالُفه مع تارينتوم وإغريق إيطاليا ضد روما (سيدة إقليمي اللاتيوم وإتروريا في ذلك الوقت) وهو تطلع ينمُ عن حجم القوات التي سيحشدها ويستعين بها لتحقيق ذلك الهدف. فيذكر المؤرخون[١١] أن بيروس أرسل في خريف عام ٢٨١ق.م. كينياس إلى تارينتوم مع ثلاثة آلاف جندي لإحضار سفنٍ مزودة بأسطح وقوارب المرور من كل نوعٍ تمتلكه تارينتوم (ينبغي ألا ننسى أن تارينتوم مستوطنةٌ تجاريةٌ وتمتلك سفنًا متنوعة) ثم نقل على متن تلك السفن عشرين فيلًا وثلاثة آلاف فارس وعشرين ألف جندي من المشاة وألفين من الرماة وخمسمائة قاذف. ويصف المؤرخان بلوتارخ وديون كاسيوس[١٢] حجم المخاطر التي أطاحت بسفن وقوات بيروس بسبب عاصفة الرياح الشمالية القوية التي كادت تعصف بجزءٍ كبير من تلك القوات وبيروس نفسه. ويذكر ديون كاسيوس[١٣] أن بيروس أرسل لأخذ نبوءة من دودونا* عن الحملة وعندما جاءت النبوءة "أنت (بيروس) إذا عبرت إلى إيطاليا فإنك ستقهرُ الرومان" لم ينتظر حتى قدوم الربيع (ربيع عام ٢٨٠ق.م.) وقرر الخروج في شتاء عام ٢٨١/ ٢٨٠ق.م. إلى إيطاليا وهو ما عرض رحلته لتلك الخطورة.

وهنا تجد الإشارة إلى دراسة تايلور[١٤] التي تطرح تساؤلًا: من أين حصل بيروس على الأفيال؟ ويذكر تايلور أن بيروس لم يكن أول ملك يوناني (يُجند) الأفيال في حملاته فقد سبقه الإسكندر الأكبر عندما استقدم أفيالًا من الهند. أما بيروس فلم يكن معلومًا كيف حصل على أفياله قبل عام ١٨٨٣م. وهو العام الذي اكتشف فيه مفتش الآثار ناڤيل M. Naville نقش RIÉ 277 لبطلميوس الثاني (فيلادلفوس) يشير إلى أن ذلك الملك البطلمي الذي أبحر إلى البحر الأحمر ووصل إلى أرض العرق الأسود (إفريقيا السوداء) قد حصل على عددٍ كبير من الأفيال الإفريقية من هناك وهو من قام بنقلهم إلى صهر أسرة البطالمة (بيروس) الذي اعتمد على عددٍ كبير من القوات البطلمية في جيشه الذي أعده لمحاربة روما.

ووفقًا لما ورد عند المؤرخين[١٥] انطلق بيروس في جنوب إيطاليا بجيشه الكبير وأفياله التي لم يرها الإيطاليون من قبل، واستطاع أن يطرد الحاميات الرومانية من مستوطنات الإغريق وأن يحقق انتصارًا على الجيش الروماني تحت قيادة القنصل الروماني فالريوس لافينيوس Λαουίνιος في هيراكليا (عام ٢٨٠ق.م.) بعد أن قتل سبعة آلاف وفرّ الفرسان الرومان من هول القتال مع أفيال بيروس. كان نصر بيروس على الرومان نصرًا غاليًا كلفه أربعة آلاف جندي (كانت أفضل قواته) وعدد من الأصدقاء والجنرالات الذين كان يعتمد عليهم دائمًا (في حملاته العسكرية). "على جانب بيروس، سقط ثلاثة عشر ألفًا وفقًا (لرواية) ديونيسيوس، ولكن وفقًا (لرواية) هيرونيموس سقط أقل من أربعة آلاف، ومع ذلك، كانت أفضل قواته. وإلى جانب ذلك فقدَ بيروس الأصدقاء والجنرالات الذين كان دائمًا يستعين بهم دائمًا ويثق بهم أكثر من غيرهم"

τῶν δὲ περὶ Πύρρον ὁ μὲν Διονύσιος μυρίους καὶ τρισχιλίους ، ὁ δ 'Ιερώνυμος ἐλάττονας τῶν τετρακισχιλίων· κράτιστοι δ 'ἦσαν οὗτοι ،καὶ τῶν φίλων ὁ Πύρρος καὶ τῶν στρατηγῶν ،οἷς μάλιστα χρώμενος διετέλει καὶ πιστεύων ،ἀπέβαλεν. (Plut., Pyrrhus, XVII.4).

ويستكمل بلوتارخ[١٦] أن بعدها (معركة هيراكليا) سار بيروس نحو الشمال أملًا في أن يكسب حلفاء روما، وقد تمكن بالفعل من الفوز بتحالُف بعض المدن الإيطالية إلى صفه ويُقال أنه وصل على بعد ثلاثمائة ستاديون (أي ما يعادل ٣٧.٥ ميلًا) من روما. وبعدها فضل بيروس الانسحاب إلى

تارينتوم وطلب التفاوض مع روما؛ وذلك لأنه أدرك أن السيطرة على روما في الوقت الراهن (خصوصًا بعد موت قادته ومستشاريه في هيراكليا) مهمةٌ كبيرة تفوق قدرته الحالية في حين أن التفاوض مع الرومان بعد النصر سيعزز مكاسبه بشكلٍ كبير. لكن رفض السناتو الروماني الصلح رغم الهزيمة وأصر على انسحاب بيروس إلى وطنه أولًا وبعد ذلك سيتم التفاوض.

كان بيروس يطمع بشكل كبير في نجاح حملته العسكرية في إيطاليا، ولكي لا يضيع نصره في هيراكليا لم يبرح أرض إيطاليا واضطر لخوض معركة ثانية (عام ٢٧٩ق.م.) مع الرومان على أمل تحقيق نصرٍ عزيزٍ (حاسم) تلك المرة، ودارت المعركة (بجيشين متساويين في القوة تقريبًا) لمدة يومين عند أسكولوم (في مقاطعة أبوليا) حيث أجبر الرومان في اليوم الأول جنود بيروس على الذهاب إلى منطقة على نهر (بها مياه فيضانات وضفاف مشجرة) غير مناسبة لنشر سلاح الأفيال حتى لا تتمكن من الاشتباك مع جنودهم، وانتهى الاشتباك بقدوم الليل. وفي اليوم التالي، في وقت مبكر (في الفجر) أجبر بيروس الجنود الرومان على خوض المعركة في أرض مستوية حتى يتمكن من استخدام أفياله في القتال، ثم وضع أعدادًا كبيرة من المسلحين والرماة بين الأفيال وقاد قواته إلى الهجوم في مجموعةٍ كثيفة وبقوةٍ كبيرة. ورغم قتال الرومان (الشرس) بالسيوف ضد الرماح البيروسية، إلا أن بيروس تمكن للمرة الثانية من قتل ستة آلاف روماني والانتصار على روما نصرٌ كلفه ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمس جندي وأصيب في ذراعه برمحٍ روماني(١٧).

"بعد مسيرة قصيرة وصل الرومان إلى معسكرهم، وخسروا ستة آلاف رجل، وفقًا (لرواية) هيرونيموس الذي قال أيضًا على جانب بيروس، وفقًا لتعليقات الملك (بيروس) نفسه، قُتل ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمس... يقول أن بيروس أُصيب برمحٍ في ذراعه "

τῆς δὲ φυγῆς οὐ μακρᾶς εἰς τὸ στρατόπεδον γενομένης ، ἐξακισχιλίους ἀποθανεῖν φησι τῶν Ῥωμαίων Ἱερώνυμος τῶν δὲ περὶ Πύρρον ἐν τοῖς βασιλικοῖς ὑπομνήμασιν ἀνενεχθῆναι τρισχιλίους πεντακοσίους καὶ πέντε τεθνηκότας … τοῦ Πύρρου τρωθέντος ὑσσῷ τὸν βραχίονα (Plut., Pyrrhus, XXI.8).

أدرك بيروس بعد معركة أسكولوم أن انتصاريه على روما كانا تكلفتهما باهظة الثمن بالنسبة لمكاسبه المحدودة التي حققها ولم تمكنه من الوصول إلى هدفه الذي خرج من أجله بكل تلك القوات. فروما (سيدة شمال ووسط إيطاليا) رغم هزيمتها مازالت لديها القدرة على الحشد والمقاومة، وهو (بيروس) رغم نصره لم يتمكن من تعويض مقاتليه أو المضي قدمًا أو فرض شروطه عليها. وبالتالي فقد اعتبر بيروس أن تكاليف نصره العالية توحي بعدم الانجاز أو الربح. وكما يذكر بلوتارخ[١٨] أن بيروس قال عن نصره في روما: "انتصارٌ آخر مثل هذا على الرومان سيقضي علينا تمامًا". أما ديودور[١٩] فقد شبه نصر بيروس (عام ٢٧٩ق.م.) في روما بالنصر الكادمي* Ὅτι ἡ Καδμεία νίκη παροιμία ἐστίν وقال عنه أنه يدل على أن المنتصرين يعانون من سوء الحظ بينما المنهزمون لا يتعرضون للخطر بسبب ضخامة سيطرتهم؛ حيث فَقَدَ الملك بيروس العديد من قواته التي عَبَرت معه وعندما سأل أحد أصدقائه كيف كان أداؤه في المعركة؟ أجاب: "إذا فزت بالنصر في معركة أخرى مع الرومان فلن يكون لدي جندي واحد من الذين عبروا معي".

εἰπεῖν ὅτι ἐὰν ἔτι μιᾷ μάχῃ νικήσῃ τοὺς Ῥωμαίους, οὐδεὶς αὐτῷ τῶν στρατιωτῶν τῶν συνδιαβεβηκότων ἀπολειφθήσεται. (Diod., XXII.6.A.2).

وهنا كان لابد من إلقاء الضوء على قوة الرومان خلال قتالهم مع بيروس وذلك لمحاولة معرفة لماذا كان نصر بيروس باهظ التكاليف بذلك الشكل؟ ولماذا لم يرضَ بيروس عن نصره في أرض المعركة؟ فكما يذكر المؤرخون[٢٠] أن بعد معركة أسكولوم كان بيروس يرفض التهنئة بالنصر لأنه رأى جنود الجيش الروماني أشبه بالنافورة التي تتدفق فيها المياه من الداخل، تمتلئ بسهولة وبسرعة، كما لم يفقدوا الشجاعة في الهزيمة بل أعطاهم غضبهم المزيد من القوة والتصميم على الحرب. بينما خسر هو (بيروس) قسمًا كبيرًا من قواته (حوالي أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة جندي) التي جاء بها وجميع أصدقائه وجنرالاته باستثناء القليل منهم. علاوة على ذلك لم يكن لديه أي شخص آخر يمكنه استدعاؤه من الوطن، كما أن حلفاءه في إيطاليا أصبحوا غير مباليين. ويُضيف ديون كاسيوس[٢١] أُعجب

بيروس بشجاعة الجنود الرومان وأنهم تصدوا (بصدورهم) لقتال جنود بيروس ولم يفر أحدٌ منهم في أحلك الظروف أو ينسحب، وقد رأى بيروس أنهم تفوقوا على جنوده ببسالتهم و"قال لو كنت أنا ملك (قائد) الرومان لغزوت بهم العالم المسكون بأكمله"

εἰπὼν ὅτι τὴν οἰκουμένην ἂν ἤδη πᾶσαν ἐχειρωσάμην ‹εἰ Ῥωμαίων ἐβασίλευον.

كما كان واضحًا أمام بيروس صلابة الرومان عقب المعركتين: هيراكليا ثم أسكولوم رغم الهزيمة؛ فبعد معركة هيراكليا وبعد أن تمكن بيروس من الوصول إلى أعتاب روما وطلب التفاوض مع الرومان وكاد أن يُقر السناتو على وقف الأعمال العدائية أعلن الزعيم الروماني أبيوس كلاوديوس Ἄππιος Κλαύδιος – الذي اضطرته شيخوخته وكفّ بصره إلى اعتزال الأنشطة العامة– رفضه التام للتفاوض مع بيروس وطلب من أبنائه حمله إلى مجلس الشيوخ وهناك عبَّر عن حزنه لأنه لم يفقد حاسة السمع مع البصر حتى لا يرى نصر بيروس ولا يسمع مثل ذلك القرار، وذكر أنه إذا كان الإسكندر قد أتى إلى إيطاليا ودخل في صراع مع الرومان فلم يكن سيُحتفل به (سيُخلد) الآن على أنه لا يُقهر بل كان سيهرب وربما سقط أمامهم، وتعجب من نصر فريسة المقدونيين (بيروس) وتمكنه من التجول في إيطاليا![٢٢]. وبعد معركة أسكولوم (التي قتل فيها القنصل ديكيوس Decius حسب ما ورد عند شيشرون[٢٣]) عندما تولى جايوس فابريكيوس Γάιος Φαβρίκιος منصب القنصل عام ٢٧٨ق.م. جاء إليه في معسكره رسالة من طبيب بيروس يعرض عليه فيها قتل مَلكه بالسم مقابل أن يوافق الرومان على إنهاء الحرب دون المزيد من المخاطر من جانبهم، لكن فابريكيوس غضب من تلك الرسالة وأرسل إلى بيروس رسالة على الفور يحثه فيها على توخي الحذر من المؤامرة، وأوضح أن الرومان لا يكسبون الانتصارات بالغدر والخديعة وإنما يكسبون في ميدان المعركة وجهًا لوجه. وعندما قرأ بيروس رسالة القنصل الروماني وحصل على دليل على المؤامرة ضد حياته، عاقب الطبيب وقدمه كأسير حرب للرومان (كهدية) لفابريكيوس مقابل عدم قبول خيانته[٢٤]. وفي ذلك ما يؤكد على اقتناع الرومان بقدرتهم على الصمود واستمرار مواجهة بيروس حتى إحراز نصر حاسم عليه، وهو ما أدركه بيروس بعد ما شاهد جثث جنوده التي تملأ أرض المعركة ولم يحرز من

نصره سوى لقب المنتصر فقط.

ويستكمل ديودور وأبيان[٢٥] الأحداث التي تؤكد على ضعف بيروس بعد الانتصار أمام قوة الرومان حيث ذكر أنه بعد أسكولوم أرسل (بيروس) للمرة الثانية سفيره كينياس إلى روما ومعه هدايا لطلب السلام عام ٢٧٨ق.م.، لكن رفض الرومان قبول الهدايا من أعداء وأوضحوا أنهم لن يقبلوا هدايا بيروس إلا في حال عودته مع جنوده (المتبقيين) إلى إبيروس، عندئذ سيكون صديقًا للشعب الروماني وسيقبلون الهدايا بكل سرور. ووفقًا لما ورد عند بلوتارخ وأبيان[٢٦] ترك بيروس إيطاليا وقبل عرض وفد مستوطنات سيراكيوز وأجريجنتوم وليونتيني في جزيرة صقلية لمساعتهم ضد قرطاجة مقابل زعامة إغريق صقلية.

ومن خلال الأحداث السابقة ظهر مفهوم جديد للانتصار يدل على النصر بطعم الهزيمة؛ حيث يتحقق النصر في ساحة المعركة ولكنه يأتي بكلفة عالية جدًا أكبر من مكاسبه، وهو ما يثبت بأن ذلك النصر يكون طاحنًا ومُهلكًا على المنتصر أكثر بكثير من المنهزم، وهو ما اصطلح على تسميته باسم النصر البيروسي. كان بيروس يسعى بكل قوة إلى الاستيلاء على إيطاليا بأكملها وليس مساعدة إغريق إيطاليا في حروبهم مع روما؛ ولذلك حشد أكبر وأقوى القوات، وبالفعل استطاع تحقيق النصر على الرومان مرتين ولكن بخسائر فادحة من قواته ومع ذلك لم يستطع تحقيق ما كان يسعى إليه وجمع من أجله تلك القوات، ولذلك أصبح نصرًا مرًا لبيروس.

يوجد في التاريخ اليوناني والروماني أمثلة أخرى عن قادة أقوياء انتصروا ولكنهم خرجوا من تلك الانتصارات العسكرية أضعف بعد أن استنفذوا جنودهم وقوتهم في معركة، ودفعوا لقاءها الكثير وعانوا منها على المدى البعيد. وهو ما سأحاول إلقاء الضوء عليها في هذه الدراسة على مدار ذلك التاريخ عبر عصوره المختلفة؛ اليونان في أواخر العصر الكلاسيكي، العصر الهيللينستي، روما في العصر الإمبراطوري.

معركة مانتنيا Μαντινεία (عام ٣٦٢ق.م.).

استطاع الملك الطيبي إبامينونداس Ἐπαμεινώνδᾱς (٣٧١-٣٦٢ق.م.) بعبقريةٍ عسكرية أن يكسر الهيمنة العسكرية الاسبرطية ويُغير توازن القوى

ويفرض زعامة وطنه على المدن اليونانية؛ فكما يذكر المؤرخون[٢٧] خاض إبامينونداس عام ٣٧١ق.م. معركة فاصلة (في ليوكترا) مع اسبرطة في عهد ملكيها أجيسيلاوس الثاني Ἀγησίλαος وكليومبروتوس Κλεόμβροτος (زعيمة بلاد اليونان بعد الحروب البلوبونيزية عام ٤٠٤ق.م.) بعد فترة من الصراعات التي كانت قد بدأت عام ٣٨٧ق.م. عندما عقدت اسبرطة صلح الملك مع الملك الفارسي أرتاكسركسيس والذي كان من بين نصوصه أن تصبح كل المدن اليونانية كبيرها وصغيرها حرة مستقلة (باستثناء بعض الجزر التي كانت تابعة للأثينيين من زمن سابق) مما كان يعني سلب طيبة أملاكها في إقليم بيوتيا. وقد تمكن إبامينونداس في معركة ليوكترا عن طريق استخدام سلاح الفرقة المقدسة (قوامه مائة وخمسون زوجٍ من الرجال الأصدقاء كلٍ يحارب جنب إلى جنب مع أعز صديق له) أن يهزم الاسبرطيين وظهرت جيوشه بعدها (٣٧٠ق.م.) كقواتٍ محررة داخل البلوبونيز لإسقاط الإمبراطورية الاسبرطية فيها. وقد تمكنت أركاديا وميسينيا بمساعدة إبامينونداس من الاستقلال عن اسبرطة ليعلنا بذلك الاستقلال خبر نهاية زعامة اسبرطة على بلاد اليونان.

أصبح إبامينونداس بعد ليوكترا أقوى قائد على مسرح أحداث بلاد اليونان، وتمكن في السنوات التالية من خلال سلسة من التحركات العسكرية والسياسية من فرض سيطرة طيبة على أغلب المدن اليونانية وتكوين إمبراطورية طيبة (الإمبراطورية البيوتية)[٢٨]. لتعيش بذلك طيبة قمة مجدها وعظمتها السياسية في تلك الفترة من حكم إبامينونداس الذي صنف كواحدٍ من أعظم ثلاثة قادة عسكريين عرفهم التاريخ العسكري في العالم اليوناني القديم لما ادخلوه في النظم والتكتيكات العسكرية الجديدة[٢٩].

وبينما كان إبامينونداس يمضي قدمًا بخطى ثابتة بجيشه (دائم الانتصارات) في توكيد سيادة وزعامة طيبة في شبه جزيرة البلوبونيز دخل في معركةٍ فاصلة مع اسبرطة عام ٣٦٢ق.م. (معركة مانتنيا) قلبت الموازين تمامًا ونسفت إمبراطوريته البيوتية التي كونها وذلك رغم انتصاره فيها. فكما يذكر المؤرخون[٣٠] في نفس ذلك العام قام تحالف بين شمال أركاديا* ومانتنيا مع اسبرطة –التي كانت تسعى للانتقام من عدوها الذي سلبها أملاكها

وهيبتها عام ٣٧١ق.م.- وانضمت إليهم أثينا وإليس ضد إبامينونداس، وبدأ المتحالفون في اتخاذ موقعهم قرب مدينة مانتنيا. وقد حشد إبامينونداس جيشًا وتحالفت معه بعض المدن المواليه له في جنوب أركاديا بالإضافة إلى تيجيا وأرجوس وميسيني، وعندما كان الجيش الاسبرطي في طريقه إلى حلفائه في مانتنيا، فكَّر إبامينونداس في الهجوم على اسبرطة نفسها مستغلًا غياب رجالها وحتى يسحب حلفاء اسبرطة من موقعهم ويسرع هو ويحتل مانتنيا، ولكن بمجرد ما أن وصل إلى الملك الاسبرطي أجيسيلاوس تَحَرُك جيش إبامينونداس تجاه اسبرطة استدار بسرعة عائدًا إلى اسبرطة؛ ولذلك عندما وصل إبامينونداس وجد اسبرطة محصنة تمامًا بالجنود من كل اتجاه، ولم يأتِ لنجدة اسبرطة سوى فرقة أثينية طاردت إبامينونداس، عندئذ عاد إبامينونداس إلى تيجيا (في إقليم أركاديا) وسمح لجنوده بالراحة فترة حتى تقارب مؤن العدو على الانتهاء. ودون سابق إنذار سار إبامينونداس بكامل قوته مما أربك قوات الاسبرطيين؛ فبمجرد أن رأوا قوات إبامينونداس تقترب بشكل غير متوقع بدأ يركض بعضهم إلى مواقعهم والبعض الآخر يتشكل في الصف وأخرون يلجمون الخيول وأخرون يرتدون الدروع.

دارت معركة مانتنيا في منتصف الطريق (تقريبًا) بين تيجيا ومانتنيا على أرض مستوية تحدها التلال شرقًا وغربًا (مكان جيد لخوض المعركة)، وكان لدى إبامينونداس جيش كبير مكون من حوالي ثلاثين ألف جندي من المشاة وما لا يقل عن ثلاثة آلاف فارس مقابل جيش العدو الاسبرطي وحلفائه المكون من عشرين ألف جندي من المشاة وألفي فارس. وفي تلك المعركة تولى إبامينونداس الجناح الأيسر من الجيش مع الطيبيين والأركاديين، وعلى الجانب الآخر تولى أجيسيلاوس الثاني وابنه أرخيداموس (الثالث) Ἀρχίδᾱμος الجناح الأيمن من الجيش الاسبرطي[٣١]. وكما يذكر المؤرخون[٣٢] تمكن ميسرة جيشه المكون من أقوى جنود المشاة المسلحين بالأسلحة الثقيلة من اختراق ميمنة جيش الاسبرطيين بسرعةٍ خاطفة مما أحدث الرعب في قلوب باقي فرسان الحلفاء الذين فروا أمام الجيش الطيبي وتحقق النصر لإبامينونداس. وبينما كان إبامينونداس (المنتصر) يندفع مع ميسرة جيشه ليتعقب جيش العدو (المنهزم) الفار قام الاسبرطيون "بسحبه من

جسده وبينما كانت السهام كثيفة وسريعة حوله تفادى بعضها، وصد البعض الآخر وسحب البعض الآخر من جسده واستخدمه لطعن مهاجميه. لكن بينما كان يناضل ببطولة من أجل النصر أصيب بجرحٍ مُميتٍ في صدره، عندما انكسر السهم وبقي الرأس الحديدي في جسده، سقط فجأة، استنزفت قوته بسبب الجرح".

ووفقا لما ورد عند ديودور[٣٣] تم نقل إبامينونداس وهو مصاب إلى المخيم (كان لا يزال على قيد الحياة) وتم استدعاء الأطباء الذين أعلنوا أنه بمجرد سحب رأس الرمح من صدره فبلا شك ستحدث الوفاة. وبشجاعةٍ فائقة (من إبامينونداس) تلقى نهايته "وسأل: من المنتصر؟ فأجابه صبي بأن البيوتيين انتصروا. فقال (إبامينونداس): إذن حان وقت الموت وأمرهم بسحب رأس الرمح. صرخ أصدقاؤه الحاضرون فزعًا وقال أحدهم: تموت يا إبامينونداس بلا ذرية، وانفجروا في البكاء. فأجاب (إبامينونداس): لا، بالرب زيوس، على العكس من ذلك تركت ورائي ابنتين، ليوكترا ومانتنيا، انتصاراني" وبهدوء لفظ إبامينونداس أنفاسه الأخيرة.

πάλιν ἐπηρώτησε ‹πότεροι νενικήκασιν. ἀποφαινομένου δὲ τοῦ παιδός ‹ὅτι Βοιωτοὶ νενικήκασιν›, Ὦρα ‹φησίν ‹ἐστὶ τελευτᾶν ‹καὶ προσέταξεν ἐκσπάσαι τὸ δόρυ. ἀναβοησάντων δὲ τῶν παρόντων φίλων ‹καί τινος εἰπόντος ὅτι Τελευτᾷς ἄτεκνος ‹Ἐπαμεινώνδα ‹καὶ δακρύσαντος ‹Μὰ Δία μέν ‹φησίν ‹ἀλλὰ καταλείπω δύο θυγατέρας ‹ τήν τε ἐν Λεύκτροις νίκην καὶ τὴν ἐν Μαντινείᾳ. (Diod., XV.87.6).

وعندما شاع خبر وفاة إبامينونداس بين جنوده سادهم الفزع والحزن وتوقفوا عن مطاردة العدو وبدأوا يتراجعون للخلف "مثل الرجال الذين تعرضوا للضرب" كأنهم جيشٌ مهزومٌ[٣٤]. "فعندما سقط (إبامينونداس) أثبت لأولئك الذين بقوا (جنوده) أنهم غير صالحين للاستفادة الكاملة بعد ذلك حتى من الانتصار".

ἐπεί γε μὴν ἐκεῖνος ἔπεσεν ‹οἱ λοιποὶ οὐδὲ τῇ νίκῃ ὀρθῶς ἔτι ἐδυνάσθησαν χρήσασθαι. (Xen., Hell., VII.5.25).

ومما لا شك فيه أن وفاة القائد الطيبي أصابت جنوده بالهول والذعر فلم يتمكنوا من الحفاظ على نصرهم واستكمال خطوات الربح وإنما شُلت حركتهم الأمامية وانتكصوا بعد وفاة قائدهم وأحجموا عن القتال، وفي ذلك يذكر كسينفون[٣٥] على الرغم أنه يُفترض إذا انتهت معركة "فإن أولئك الذين

انتصروا سيكونون الحكام وأولئك الذين هُزموا سيكونون رعاياهم، لكن الوضع ليس كذلك فكلا الطرفين كما لو كانا منتصرين فلا يحاول أي منهما إعاقة الآخر فقد كان كل منهما يُعيد الموتى كما لو كان منتصرًا وكل منهما يحتاج لهدنة كما لو كان منهزمًا ... ولم يصبح أي منهما أفضل حالًا سواء فيما يتعلق بإضافة (إحراز) أراض أو مدينة أو نفوذ على ما كان عليه قبل اندلاع المعركة".

وبعد انتصار طيبة في أرض معركة مانتنيا عام ٣٦٢ق.م. طلبت (طيبة) عقد معاهدة سلام مع العدو المهزوم (وكأنها هي المهزومة) والتي من خلالها تم الاعتراف باستقلال المدن اليونانية على أساس الوضع القائم (قبل المعركة). وهو ما يعني أن ذلك النصر لم تخرج منه طيبة بأية غنائم وإنما تغرمت قائدها (أقوى ما لديها)[٣٦]. كانت طيبة تفتقر إلى القادة الأقوياء لخلافة إبامينونداس على عرش الإمبراطورية، فرغم تولي أحد المقربين لإبامينونداس الحكم وهو باميئيس Pammenes إلا أنه لم يتمكن من القيادة التي تسمح لوطنه بالمحافظة على انتصارات إبامينونداس. فراحت إمبراطورية طيبة تتفتت حتى تلاشت وعادت طيبة مدينة تتوارى عن مسرح الأحداث الساسية اليونانية[٣٧].

تلك كانت ظروف نصر الملك الطيبي إبامينونداس في المعركة التي خسر فيها حياته فخسرت إمبراطوريته حياتها معه واندثرت للأبد، فقد دخل إبامينونداس المعركة وتمكن من الانتصار ولولا سهم العدو الذي رشق في صدره وأودى بحياته لتغيرت أحداث التاريخ اليوناني في وجوده؛ فكان نصرًا تكلَّف حياة الزعيم والزعامة.

معركة أوينوباراس Οἰνοπάρας (عام ١٤٥ق.م.).

حاول الملك البطلمي بطلميوس السادس (فيلوميتور Φιλομήτωρ) استغلال فرصة النزاع الأسري في الدولة السليوقية بين الملك السليوقي بالاس الإسكندر* Ἀλέξανδρος (زوج ابنته كيلوباترا ثيا) وديميتريوس الثاني Δημήτριος وذلك في محاولة استرداد منطقة جوف سوريا لسلطان مملكة البطالمة، فأعد جيشًا وأسطولًا وتحرك بنفسه على رأس قواته إلى سوريا. "في ذلك الوقت (عام ١٤٥ق.م.) أيضًا، جاء الملك بطلميوس، الملقب

فيلوميتور، إلى سوريا بقوة سفن وجنود مشاة للقتال كحليفٍ للإسكندر الذي كان صهره"

Ὑπὸ δὲ τοῦτον τὸν καιρὸν καὶ βασιλεὺς Πτολεμαῖος ὁ Φιλομήτωρ ἐπικληθεὶς ναυτικὴν ἄγων δύναμιν καὶ πεζὴν εἰς Συρίαν ἦκεν συμμαχήσων Ἀλεξάνδρῳ· (Joseph., XIII.103).

ورغم أن فيلوميتور قد خرج من مصر لتقديم المساعدة إلى من كان صهره منذ عام ١٥٠/ ١٤٩ ق.م. إلا أن الملك البطلمي قد تدخل في ذلك النزاع الذي نشأ وخاض المعركة (أوينوباراس) بقواته في عام ١٤٥ق.م. لصالح غريم زوج ابنته ديمتريوس الثاني. ويرى المؤرخان ديودور وجوسيفوس[٣٨] أن فيلوميتور كانت نيته تقديم المساعدة لزوج ابنته بالاس ضد ديمتريوس ويضيف جوسيفوس أن فيلوميتور كان صادق النية في مساعدة بالاس لكنه عدل عن نيته تلك وانحاز إلى صف ديمتريوس بعد أن تعرض (فيلوميتور) لمحاولة اغتيال على يد شخص يدعى أمونيوس Ἀμμώνιος ولم يتخذ بالاس إجراءات لمعاقبة أمونيوس على محاولة اغتياله.

اتفق فيلوميتور وديمتريوس على عقد التحالُف بينهما ضد بالاس على أن يكون ثمن مساعدة فيلوميتور التنازل عن جوف سوريا لصالح مصر، كما اتفقا على زواج ديمتريوس من ابنة فيلوميتور (زوجة بالاس) بعد أن حلَّ الصلات مع بالاس وأخذ ابنته منه، وذلك في حال تمكن فيلوميتور من الانتصار على بالاس ووضع ديمتريوس على العرش السليوقي[٣٩]. وكما يذكر جوسيفوس[٤٠] حشد بالاس جيشًا كبيرًا وانطلق إلى كليكيا (شمال سوريا) مع كميةٍ كبيرة من الأسلحة، وبدأ في إحراق ونهب أراضي أهل إنطاكية. "عندئذ سار فيلوميتور (في صيف ١٤٥ق.م.) ضده مع صهره ديمتريوس –لأنه كان قد تزوج ابنته بالفعل– وهزموا بالاس (عند ضفاف نهر أوينوباراس Οἰνοπάρας) الذي هرب إلى الصحراء السورية".

Πτολεμαῖος ἐπ' αὐτὸν ἐξεστράτευσεν μετὰ τοῦ γαμβροῦ Δημητρίου· ἤδη γὰρ αὐτῷ πρὸς γάμον ἐδεδώκει τὴν θυγατέρα· καὶ νικήσαντες εἰς φυγὴν ἐτρέ ψαντο τὸν Ἀλέξανδρον. οὗτος μὲν οὖν εἰς Ἀραβίαν φεύγει. (Joseph., XIII.116, 117).

ويستكمل جوسيفوس الأحداث ويذكر أن في أرض المعركة انتفض حصان فيلوميتور فزعًا عندما سمع صوت (نهيم) الفيل فأطاح فيلوميتور أرضًا حيث أحاط به العدو وهجموا عليه وألحقوا به جرحًا كبيرًا في رأسه

(حتى كاد يموت في أيديهم)، وعندما اختطفه حراسه من أيديهم كان في حالةٍ خطيرة لدرجة أنه لمدة أربعة أيام لم يكن قادرًا على فهم أي شيء أو النطق بكلمة. في تلك الأثناء، قطع الزعيم العربي زابيلوس Ζάβειλος (زبديل) رأس بالاس وأرسله إلى فيلوميتور الذي تعافى من جروحه في اليوم الخامس وعاد إلى رشده وسمع نبأ وفاة بالاس ورأى رأسه. وبعد فترة وجيزة بعد ما أشبع فرحته بوفاة الإسكندر، توفي (فيلوميتور).

أما ديودور[٤١] فيذكر (أن بعد انتصار فيلوميتور) "هرب بالاس إلى منطقة أباي Ἄβᾶς/ Ἄβαι (شمال سوريا) حيث لجأ إلى الشيخ العربي ديوكليس Διοκλέης مع خمسمائة من رجاله. بعد ذلك دخل هلياديس Ἡλιάδης وكاسيوس Κάσιος (الضابطان اللذان كانا مع بالاس) في مفاوضات سرية مع ديمتريوس وعرضوا اغتيال قائدهم (بالاس) مقابل حياتهما. وعندما وافق ديمتريوس على شروطهم لم يصبحوا مجرد خونة لمَلكهم بل قتلة له (أيضًا). وهكذا تم قتل الإسكندر بالاس من قبل أصدقائه". ومن خلال روايتي ديودور وجوسيفوس حول مقتل بالاس يوجد اختلافٌ كبيرٌ وتبدو رواية ديودورٍ هي الرواية الصحيحة لأنه من الصعب تصديق رواية جوسيفوس عن تشفِّي فيلوميتور بتلك الصورة الوحشية في ظل ما نعرفه من بوليبيوس[٤٢] عن طيبة قلب فيلوميتور.

ورغم انتصار فيلوميتور في معركة أوينوباراس ووصول حليفه (ديمتريوس) إلى عرش الدولة السليوقية إلا أن ديمتريوس بمجرد وفاة فيلوميتور تملص من الاتفاق ولم يُسلِّم جوف سوريا (حسب الاتفاق الذي كان بينهما) إلى مملكة البطالمة بل واستولى على قوات فيلوميتور بالكامل. فيذكر جوسيفوس: "بعد تولي ديمتريوس، الملقب بنيكاتور، السلطة الملكية بدأ في تدمير قوات بطلميوس تمامًا، متناسيًا التحالف معه وأن بطلميوس كان والد زوجته ومرتبطًا به من خلال زواجه من كيلوباترا ثيا، فهرب الجنود من هجومه (حاولوا الهرب) إلى الإسكندرية لكن ديمتريوس تمكن من الاستيلاء على الأفيال فضلًا عن أن الكاهن الأكبر جوناثان جمع مع ديمتريوس جيشًا من اليهود واعتدوا على القلعة في القدس التي كانت تضم الجنود المقدونيين (جنود فيلوميتور واستولوا عليهم جميعًا)"[٤٣]. ومن خلال ذلك نلاحظ أن

قوات فيلوميتور في سوريا كانت تضم بينها أفيالًا (إفريقية) وهو ما يؤكد على ضخامة حجم قوات فيلوميتور.

وهكذا، كانت تكلفة انتصار الملك البطلمي بطلميوس السادس في معركة أوينوباراس هي قواته بالكامل فضلًا عن منطقة جوف سوريا وهي تكلفة باهظة الثمن بكل المقاييس. ولعل ما ورد عند ديودور[٤٤] يؤكد على ذلك؛ فقد ذكر أن فيلوميتور "بعد وفاته وهزيمته (خسارة قواته وجوف سوريا) قد وجهت إليه تهم باطلة ضده بأنه خان القضية البطلمية للعدو عمدًا". وهو ما ينمُ عن حجم الخسائر والضرر الذي لحق بمملكة البطالمة جراء ذلك النصر المُدمر.

معركة روما ضد البارثيين ١٦٥م.

لم يكد ماركوس أوريليوس يتولى عرش الإمبراطورية الرومانية عام ١٦١م حتى شنَّ ملك البارثيين فولوجاسيس (الثالث) Οὐολόγαισος هجومًا على إليجيا Ἐλεγεία في الولاية الرومانية أرمينيا (بين آسيا وأوربا) ثم زحف على ولاية سوريا واستولى عليها ونهبها. ولذلك أرسل الإمبراطور الروماني إلى سوريا أخاه بالتبني لوكيوس Λούκιος (شريكه في حكم الإمبراطورية*) لقتال البارثيين واستعادة ولايتهم في سوريا. فيذكر ديون كاسيوس[٤٥] أن القائد البارثي سيفيريانوس Σεβηριανὸς "يتقدم قويًا وهائلًا ضد مدن سوريا، وتبعًا لذلك ذهب لوكيوس إلى إنطاكية وجمع عددًا كبيرًا من القوات وأفضل القادة تحت قيادته الشخصية، وتولى مقره الخاص في المدينة، حيث قام بكل الترتيبات وجمع الإمدادات للحرب، بينما عهد بالجيوش إلى كاسيوس".

وفي عام ١٦٥م. استغل أفيديوس كاسيوس (الوالي الروماني في سوريا) فرصة ضعف الملك البارثي فولوجاسيس بعد انسحاب حلفائه عنه وقام بشن حملةٍ عسكرية على نطاق واسع ضد البارثيين، وقد تمكن القائد الروماني من (الانتصار) ومطاردة القوات البارثية حتى المدينتين سليوقية وكتيسفون (عاصمة البارثيين) حيث أحرق سليوقية وساوى (دمر) قصر الملك فولوجاسيس في كتيسفون بالأرض[٤٦]. وهنا تجدر الإشارة إلى الدراسات[٤٧] التي تذكر أن انتصار الرومان في بلاد ما بين النهرين مع البارثيين لم يأتِ إلا بعد صراع شاق ومطاردة أجبرت البارثيين على

الهزيمة؛ فقد استخدم كاسيوس في تلك المعركة طريقة لعبور نهر الفرات لم يسبق لقائد قبله استخدامها وذلك عن طريق الجسر العائم الذي بناه مهندسون لعبور مجرى النهر، وتم توفير الحماية للمهندسين من قبل رماة من برج مُركّب على الضفة المقابلة للنهر. وبمجرد عبور كاسيوس النهر اتجه جنوبًا على طول الجدول واستولى على المدن حتى وصل إلى سليوقية وكتيسفون وذلك في شهر ديسمبر عام ١٦٥م.

لكن ذلك الانتصار الروماني في بلاد الرافدين أصابه (خبيثة البيروسية)؛ فبينما كانت القوات تُشارك في نهب سليوقية انتشر واحدٌ من الأوبئة (ربما الجدري أو الطاعون) التي اجتاحت الجنود الرومان هناك. وهو ما يجعلني أُدرك أنهم قد أُجبروا من جراء ذلك على إعادة الثروات وترك كميات كبيرة من الغنائم. فيذكر أميانوس ماركيللينوس[٤٨] في سليوقية "انفجرت جرثومة ذلك الوباء والتي بعد أن تسببت في ضراوة الأمراض المستعصية ... لوثت كل شيء بالعدوى والموت، من حدود بلاد فارس وصولًا إلى نهر الراين وإلى بلاد الغال".

quae insanabilium vi concepta morborum, eiusdem Veri Marcique Antonini temporibus, ab ipsis Persarum finibus ad usque Rhenum et Gallias, cuncta contagiis polluebat et mortibus.

ويذكر ديون كاسيوس[49] "فَقَدَ (كاسيوس) عددًا كبيرًا من جنوده بسبب المجاعة والمرض، ومع ذلك عاد إلى سوريا مع الناجيين".

ὑποστροφῆ πλείστους τῶν στρατιωτῶν ὑπὸ λιμοῦ καὶ νόσου ἀπέβαλεν ،ἀπενόστησε δ 'ὅμως ἐς τὴν Συρίαν μετὰ τῶν λοιπῶν στρατιωτῶν.

ومن خلال ذلك نتبين تحقيق روما نصرٍ كبير على البارثيين مع تكبد خسائر أكبر في أرواح الجنود نتيجة تفشي وباء الطاعون بين القوات الرومانية فضلًا عن النقص الشديد في الإمدادات من غذاء وعتاد مما جعل ذلك النصر نصرًا بيروسيًا (فيروسيًا) على الجيش الروماني. ولا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن الجنود الناجين والعائدين إلى سوريا ثم إلى روما قد نقلوا الآفة بالصورة التي نقلها لنا أميانوس[٥٠] إلى أرجاء روما وولاياتها وبالتالي سقط آلاف الضحايا.

وهنا بعد تناول نماذج النصر البيروسي في التاريخ اليوناني

والروماني يمكن القول أنه قد يكون الانتصار بإجتياح في أرض المعركة ولكن تلعب الظروف والأقدار دورًا مهمًا في تكبد المنتصر خسائر فادحة وقلب النصر الساحق التام إلى نصرٍ (مُشَوَّه) وأبرزها في حالة مقتل القائد الأوحد (الأعظم) إبامينونداس في معركة مانتنيا، وفي حالة الخيانة مثل خيانة ديمتريوس لصهره فيلوميتور في معركة أوينوباراس، وفي حالة الوباء مثل إصابة الجنود الرومان بالطاعون في معركة روما ضد البارثيين. وهو ما يجعل تلك النماذج أشبه بانتصار بيروس في محصلة التكلفة حتى لو لأسباب خارجة.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكن الخروج بعدد من النتائج وهي:

- كان بيروس هو أول من فرَّق (مَيَّز) بين النصر المُظْفِر والنصر المُكلِّف في الربع الأول من القرن الثالث ق.م. حينما مارس نقد الذات بكل جرأة وقلَّل من أهمية انتصاره لأنه خسر الكثير فضلًا على أنه لم يحقق هدفه الذي خاض من أجله المعركة، فظهرت من خلاله نتيجة جديدة للمعارك الفاصلة غير الانتصار أو الهزيمة وهي النصر البيروسي.
- النصر البيروسي هو مصطلح عسكري يُنسب إلى بيروس ويرمز إلى الانتصار في أرض المعركة مع تكبد تكلفة هائلة (عظيمة) فتجعل المنتصر في وضع أسوأ عما كان عليه قبل تلك المعركة.
- نصر الملك الطيبي إبامينونداس في معركة مانتنيا كان نصرًا مكلفًا بيروسيًا؛ فقد انتصر إبامينونداس في أرض المعركة ولكنه تكلَّف حياته ثمنًا لذلك النصر مما اضطر جنوده إلى عقد معاهدة سلام وفقدت طيبة من جرائه إمبراطوريتها عام ٣٦٠ق.م. بعد أن تفككت مدنها (ولاياتها) وانهارت.
- نصر الملك البطلمي بطلميوس السادس في معركة أوينوباراس كان نصرًا مكلفًا بيروسيًا؛ فقد انتصر فيلوميتور في أرض المعركة ولكنه تكلَّف حياته وقواته (الجيش والأسطول) كاملة ثمنًا لذلك النصر مما أدى إلى تبديد قوات مصر وعدم إمكانية أرملة فيلوميتور وابنه الوقوف في وجه بطلميوس الثامن (يوإرجيتيس الثاني) صديق روما مما أفضى إلى نكبة

عظيمة لدولة البطالمة.

- نصر الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس في بلاد ما بين النهرين كان نصرًا مكلفًا بيروسيًا؛ فقد انتصر الرومان في أرض المعركة ولكنهم تكلَّفوا حياة عدد كبير من الجنود ثمنًا لذلك النصر مما اضطرهم إلى ترك غنائم المعركة وهو ما جعل الإمبراطور عندما هاجمت القبائل البربرية الشمالية حدود الإمبراطورية يلجأ إلى تجنيد العبيد خاصة المبارزين فضلًا عن الجنود المرتزقة من الجرمان في صفوف الجيش الروماني، بل وإلى بيع أثاث ونفائس القصر الإمبراطوري ومجوهرات زوجته في مزادات وجمع الأموال والتبرعات لسد العجز الشديد في الجنود والأموال بعد تلك المعركة.
- الانتصار في أرض المعركة مع موت أهم قائد عسكري أو موت (فقدان) عدد كبير من الجنود أو كلاهما مما يضطر الدولة إلى التنازل عن غنائم المعركة وعقد معاهدة سلام هو نصر بيروسي.

الهوامش:

* بيروس: ينحدر من قوم نيوبتوليموس بن أخيليوس Νεοπτόλεμος ὁ Ἀχιλλέως الذين سكنوا إبيروس بين قبيلة المولوسويس Μολοσσός التي استوطنت هناك مع البلاسجيين، وقد سُمي ذلك القوم بعد ذلك باسم البيريداس Πυρρίδας. هرب بيروس وهو طفلًا –بمساعدة بعض شباب المدينة– إلى ميجارا (مدينة تابعة لمقدونيا في ذلك الوقت) بعد أن نشأت صراعات بين المولوسويس، ثم لجأ إلى جلايكياس Γλαυκίας ملك إلليريا الذي رباه مع أولاده حتى أجلسه على العرش وهو في سن الثانية عشرة. أُنظر: Plut., Pyrrhus, I.-III.1-3.

* إبيروس Ἤπειρος: تقع في الشمال الغربي من اليونان بين البحر الأيوني وسلسلة البندوس، وتمتد من حدود مقدونيا وإلليريا من الشمال، ومن حدود مقدونيا وثيساليا من الشرق، ومن خليج أمبراكيا من الجنوب. أُنظر:

Various Writers (1854), A Dictionary of Greek and Roman Geography, ed. by: William Smith, D.C.L., L.L.D., London: John Murry, s.v. Epeirus.

(1) Plut., Pyrrhus, IV.1-2.

(2) Plut., Pyrrhus, IV.3-4, V-VIII; Just., XVII.2.12, XVIII.1.

أطلق بيروس على ابنه من أنتيجوني اسم بطلميوس اعترافًا بأفضال سوتير عليه كما أطلق على المدينة التي أنشأها في إبيروس اسم برنيكي. أُنظر:

Plut., Pyrrhus, VI.1

(3) Plut., Pyrrhus, VIII.1-3.

καὶ γὰρ ὄψιν ᾤοντο καὶ τάχος ἐοικέναι καὶ κίνημα τοῖς Ἀλεξάνδρου, καὶ τῆς φορᾶς ἐκείνου καὶ βίας παρὰ τοὺς ἀγῶνας ἐν τούτῳ σκιάς τινας ὁρᾶσθαι καὶ μιμήματα, τῶν μὲν ἄλλων βασιλέων ἐν πορφύραις καὶ δορυφόροις καὶ κλίσει τραχήλου καὶ τῷ μεῖζον διαλέγεσθαι, μόνου δὲ Πύρρου τοῖς ὅπλοις καὶ ταῖς χερσὶν ἐπιδεικνυμένου τὸν Ἀλέξανδρον. (VIII.1).

"شبهوا هيئته وسرعته وكل حركاته بتلك التي قدمها الإسكندر الأكبر، وظنوا أنهم رأوا فيه الظلال، كما هي، وتقليدًا لقوة ذلك القائد وقدرته في النزاعات وقالوا أن الملوك الآخرين يُشبِّهون الإسكندر بأثوابهم الإرجوانية وحراسهم وميل أعناقهم وأصواتهم لأعلى في المحادثة. ولكن بيروس، وبيروس وحده في السلاح والعمل".

(4) Michael C. Astour, "Ancient Greek civilization in Southern Italy", P&P, 19 (Spring, 1985), pp.23-37; Dunbabin T.J. (1948), The western Greeks: The history of Sicily and South Italy from the foundation of the Greek colonies to 480 B.C., Oxford: Clarendon Press. p. 28.

* كروتون Κρότων: مستوطنة إغريقية في جنوب إيطاليا أسستها آخايا عام ٧١٠ق.م. على شرق ساحل شبه جزيرة بروتيا. أُنظر: Smith ed. (1854), s.v.Croton.

(5) J. Armstrong (2017), The Campaigns of Pyrrhus, 282-272BC., in: The Encyclopedia of ancient batteles, 1ed., New York: John Wily& Sons Ltd., pp. 1-10; M. Cary (1920), "Roman Treaties with Tarentum and Rhodes", AJPh 35, pp. 165-173. pp.165,169; P.R. Franke (1989), "Pyrrhus", CAH, vol.7, part 2, Cambridge at the University Press, pp.456-484. p.456.

يوجد اختلافٌ حول تحديد تاريخ المعاهدة بين روما وتارينتوم فبينما يوجد رأي يذكر أن تاريخ تلك المعاهدة يرجع إلى عام ٣٤٨ق.م. وهو نفس تاريخ معاهدة روما مع قرطاجة بسبب ضعف روما البحري في ذلك الوقت والذي دفعها لعقد تلك المعاهدتين يوجد رأي آخر أن تاريخ تلك المعاهدة هو عام ٣٠٢/٣٠٣ق.م. وذلك بعد انتهاء الحرب السامنية الثانية عام ٣٠٤ق.م. وهو الرأي الأقرب للصحة تبعًا للاستنتاج من الأحداث التي وردت عند المؤرخين. انظر: Carry (1920), p.166.

* ثوري Θούριοι: مستوطنة إغريقية في جنوب إيطاليا أسسها مواطنون أثينيون عام ٤٤٤/ ٤٤٣ق.م. على خليج تارينتوم. انظر: Smith ed. (1854), s.v.Thurii.

* لوكري Λοκροί: مستوطنة إغريقية في جنوب إيطاليا أسستها لوكريس في القرن السابع ق.م. على جنوب شرق ساحل شبه جزيرة بروتيا. انظر:
Smith ed. (1854), s.v. Locri.

* ريجيوم Ῥήγιον: مستوطنة إغريقية في جنوب غرب إيطاليا أسستها ميسينا عام ٧٢٠ق.م. وتقع على بعد ٦ أميال من مستوطنة ميسيني "زانكلي" في شمال غرب جزيرة صقلية. انظر: Smith ed. (1854), s.v. Rhegium.

(6) Dio. Cass., IX.40,5.7; Livy, Summary of book XI; Just., XVIII.1.9.

(7) Dio. Cass. IX. Zonaras 8,2; Livy, Summary of book XII.

(8) Plut., Pyrrhus, XIII.2-6:

οὕτω δὲ τοῦ δόγματος κυρίου γενομένου, πρέσβεις ἔπεμψαν εἰς Ἤπειρον, οὐχ αὐτῶν μόνον, ἀλλὰ καὶ τῶν Ἰταλιωτῶν, δῶρα τῷ Πύρρῳ κομίζοντας καὶ λέγοντας, ὡς ἡγεμόνος ἔμφρονος δέονται καὶ δόξαν ἔχοντος, δυνάμεις δ' αὐτόθεν ὑπάρξουσι μεγάλαι παρά τε Λευκανῶν καὶ Μεσσαπίων καὶ Σαυνιτῶν καὶ Ταραντίνων εἰς δισμυρίους ἱππεῖς, πεζῶν δ' ὁμοῦ πέντε καὶ τριάκοντα μυριάδας. (XIII.5,6).

Cf. Livy, Summary of book XII; Dio. Cass. IX,.3, Zonaras 8,2.

(9) Paus., I.12.1.

(10) Plut., Pyrrhus, XIV. 2-6:

"πολεμισταὶ μὲν ὦ Πύρρε Ῥωμαῖοι λέγονται καὶ πολλῶν ἐθνῶν μαχίμων ἄρχοντες· εἰ δὲ δοίη θεὸς περιγενέσθαι τῶν ἀνδρῶν, τί χρησόμεθα τῇ νίκῃ;" καὶ ὁ Πύρρος "ἐρωτᾷς" εἶπεν "ὦ Κινέα πρᾶγμα φαινόμενον· οὔτε βάρβαρος ἡμῖν ἐκεῖ πόλις οὔθ' Ἑλληνὶς ἀξιόμαχος Ῥωμαίων κρατηθέντων, ἀλλ' ἔξομεν εὐθὺς Ἰταλίαν ἅπασαν, ἧς μέγεθος καὶ ἀρετὴν καὶ δύναμιν ἄλλῳ πού τινι μᾶλλον ἀγνοεῖν ἢ σοὶ προσήκει". μικρὸν οὖν ἐπισχὼν ὁ Κινέας, "Ἰταλίαν δέ" εἶπεν "ὦ βασιλεῦ λαβόντες, τί ποιήσομεν;" καὶ ὁ Πύρρος οὔπω τὴν διάνοιαν αὐτοῦ καθορῶν, "ἐγγύς" εἶπεν "ἡ Σικελία χεῖρας ὀρέγει, νῆσος εὐδαίμων καὶ

πολυάνθρωπος, ἁλῶναι δὲ ῥᾴστη· στάσις γὰρ ὧ Κινέα πάντα νῦν ἐκεῖ[να] καὶ ἀναρχία πόλεων καὶ δημαγωγῶν ὀξύτης, Ἀγαθοκλέους ἐκλελοιπότος." "εἰκότα" ἔφη "λέγεις" ὁ Κινέας· "ἀλλ' ἡ τοῦτο πέρας ἡμῖν τῆς στρατείας, λαβεῖν Σικελίαν;" "θεός" ὁ Πύρρος ἔφη…. δῆλον γὰρ ὅτι καὶ Μακεδονίαν ἀναλαβεῖν καὶ τῆς Ἑλλάδος ἄρχειν ὑπάρξει βεβαίως ἀπὸ ηλικαύτης δυνάμεως".

(11) Plut., Pyrrhus, XV.1:

Πρῶτον μὲν οὖν ἀπέστειλε τὸν Κινέαν τοῖς Ταραντίνοις ‹στρατιώτας ἄγοντα τρισχιλίους .ἔπειτα πολλῶν ἱππηγῶν καὶ καταφράκτων καὶ πορθμείων παντοδαπῶν ἐκ Τάραντος κομισθέντων ‹ἐνεβίβαζεν ἐλέφαντας εἴκοσι καὶ τρισχιλίους ἱππεῖς ‹πεζοὺς δὲ δισμυρίους καὶ δισχιλίους τοξότας καὶ σφενδονήτας πεντακοσίους..

Cf. Livy, Summary of book XIII; Just., XVII.2, XXV.3.4; Dio. Cass., IX. Zonaras 8,2.

(12) Plut., Pyrrhus, XV.1-5; Dio. Cass., IX. Zonaras 8,2.

(13) Dio. Cass., IX.40.5.6.

* دودونا Δοδώνη: مدينة قديمة في إبيروس سكنها البلاسجيون، وقد تمتعت نبوءات دودونا بأهمية كبيرة عند الإغريق لأنها كانت مرتبطة بالإله زيوس. انظر:
Smith ed. (1854), s.v. Dodona.

(14) Isacc Taylor (1892), "The Elephants of Pyrrhus", Notes and Queries, July 2, p.17.

(15) Livy, Summary of book XII; Plut., Pyrrhus, XVI.3-8, XVII; Dio. Cass., IX. Zonaras 8,2.

(16) Plut., Pyrrhus, XVII.5.

(17) Plut., Pyrrhus, XXI.5-9.

جاء ذلك الانتصار بعد موت بطلميوس كيراونوس (الصاعقة وهو ابن سوتير) ملك مقدونيا الذي قُتل مع معظم جنوده في بداية عام ٢٧٩ق.م. في معركة ضد القبائل الكلتية التي نزلت على مقدونيا مما أدى إلى إغراق بلاد اليونان في صراعات داخلية خطيرة، وأصبح عرش بيروس مهددًا في إبيروس من جحافل البرابرة الذين شقوا طريقهم إلى هناك. وهو ما جعل أمر تكلفة الانتصار في روما في غاية الخطورة بالنسبة لبيروس الذي فقدَ الكثير من قواته. انظر: Franke (1989), p.473.

(18) Plut., Pyrrhus, XXI.9.

(19) Diod., XXII.6.A.2.

* النصر الكادمي هو أسطورة نصر الكادميين (أول من سكنوا طيبة) وذلك عندما أرسل الملك كادموس رفاقه لإحضار ماء من نبع يحرسه الهيدرا (تنين مائي) والذي قتلهم جميعًا، وبالتالي كلَّف ذلك النصر حياة أولئك الذين كانوا سيستفيدون منه. انظر:
Liddell H. and Scott R. (1996), A Greek–English Lexicon Oxford: Clarendon Oxford Press. s.v. Κάδμος.

(20) Plut., Pyrrhus, XXI.8-10:

πολὺ μὲν γὰρ ἀπωλώλει μέρος ἧς ἄγων ἦκε δυνάμεως, φίλοι δὲ καὶ στρατηγοὶ πλὴν ὀλίγων ἅπαντες, μεταπέμπεσθαι δ' οὐκ ἦσαν ἕτεροι, καὶ τοὺς αὐτόθι συμμάχους ἀμβλυτέρους ἑώρα, τοῖς δὲ Ῥωμαίοις ὥσπερ ἐκ πηγῆς οἴκοθεν ἐπιρρεούσης ἀναπληρούμενον εὐπόρως καὶ ταχὺ τὸ στρατόπεδον, καὶ ταῖς ἥτταις οὐκ ἀποβάλλοντας τὸ θαρρεῖν, ἀλλὰ καὶ ῥώμην καὶ φιλονικίαν ὑπ' ὀργῆς ἐπὶ τὸν πόλεμον προσλαμβάνοντας.

See also: Diod., XXII.6.A.1-2; Dio. Cass., IX.40,5.19.

(21) Dio. Cass., IX.40,5.19, Zonaras 8,3.

(22) Plut., Pyrrhus, XIX.1-3:

Ὁ δ 'αὐτόθεν καταστάς" πρότερον μέν "ἔφη" τὴν περὶ τὰ ὄμματα τύχην ἀνιαρῶς ἔφερον ،ὦ Ῥωμαῖοι ،νῦν δ 'ἄχθομαι πρὸς τῷ τυφλὸς εἶναι μὴ καὶ κωφὸς ὤν ،ἀλλ 'ἀκούων αἰσχρὰ βουλεύματα καὶ δόγμαθ 'ὑμῶν ،ἀνατρέποντα τῆς Ῥώμης τὸ κλέος .ποῦ γὰρ ὑμῶν ὁ πρὸς ἅπαντας ἀνθρώπους θρυλούμενος ἀεὶ λόγος ،ὡς εἰ παρῆν ἐκεῖνος εἰς Ἰταλίαν ὁ μέγας Ἀλέξανδρος καὶ συνηνέχθη νέοις ἡμῖν καὶ τοῖς πατράσιν ἡμῶν ἀκμάζουσιν ،οὐκ ἂν ὑμνεῖτο νῦν ἀνίκητος ، ἀλλ 'ἢ φυγὼν ἂν ἦ που πεσὼν ἐνταῦθα τὴν Ῥώμην ἐνδοξοτέραν ἀπέλιπε.

See also: App., Samn., X.2.

Cf. Dio. Cass., IX.Zanoras 8,4.

(23) Cicero, II.19.61.

يُذكر أن مقتل ديكيوس في تلك المعركة غير صحيح لأنه تم ذكره في مصادر أخرى أنه على قيد الحياة عام ٢٦٥ق.م. انظر: Franke (1989), 472.

(24) Plut., Pyrrhus, XXI.1-3.

(25) Diod., XXII.6.A.3; App., Samn., XI.2.

(26) Plut., Pyrrhus, XXII; App., Samn., XI.2.

(27) Xen., Hell., V.1.28-32, VI.3-4.1-15, 5.22-50; Plut., Ages., XXIII.1-3; Pelop., XVII.1; Paus., IX.13.9-12.

استطاع إپامينونداس وقائده بيلوبيداس من خلال الفرقة المقدسة تحقيق النصر على الاسبرطيين الذين كان جيشهم يقارب أحد عشر ألف رجلٍ بينما جيش طيبة لا يتعدى ستة آلاف رجل. لمزيد من المعلومات عن الفرقة المقدسة في جيش إپامينونداس، انظر:

James Roman (2021), The Sacred Band: Three hundred Theban lovers fighting to save Greek freedom, New York: Scribner.

(28) Xen., Hell., VII.2-4.

(٢٩) أجمع المؤرخون على قدرة إپامينونداس العسكرية الفائقة وذكائه الحاد وشجاعته النادرة بالإضافة إلى يأسون ملك فيراي، وديونيسيوس الأول ملك مستوطنة سيراكيوز في جزيرة صقلية. بل أن انتصارات الملك فيليب المقدوني وابنه الإسكندر الأكبر المذهلة في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. لم تكن سوى نتائج تلك الثورة العسكرية التي أدخلها إپامينونداس في الجيش الطيبي. انظر:

C. J. Tuplin (1984), "Pausanias and Plutarch□s Epaminondas", CQ 34, pp. 346-358, p.350; Mark Herman (1995), The Great battles of Epaminondas: Great battles of Alexander module, New York: Deluxe. p.7; M. Cary (1927), "Thebes", CAH, vol. 6, Cambridge at the University Press, pp.80-107. pp. 99,100;

Salwomir Sprawski (2004), "Battle of Tegyra (375BC): Breaking through and the opening of the ranks", Electrum 8, pp.13-26, p.25.

سيد أحمد الناصري (١٩٧٦)، الإغريق: تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، القاهرة: دار النهضة العربية. ص. ٤٤٢.

(30) Xen., Hell., VII.5.1-24:

οἱ δὲ πολέμιοι ὡς εἶδον παρὰ δόξαν ἐπιόντας ،οὐδεὶς αὐτῶν ἡσυχίαν ἔχειν ἐδύνατο ،ἀλλ 'οἱ μὲν ἔθεον εἰς τὰς τάξεις ،οἱ δὲ παρετάττοντο ،οἱ δὲ ἵππους ἐχαλίνουν ،οἱ δὲ θώρακας ἐνεδύοντο ،πάντες δὲ πεισομένοις τι μᾶλλον ἢ ποιήσουσιν ἐῴκεσαν.

See also: Plut., Ages., XXXIV.3-5; Diod., XV.82.6-86.

* في عام ٣٦٣ق.م. أعلن عددٌ كبيرٌ من الأركاديين (الحلف الأركادي الذي تكون بعد استقلال أركاديا ٣٧٠ق.م.) عداءهم لطيبة ونادوا بإلغاء التحالف مع إپامينونداس وذلك بعد أحداث الحرب بين مدينتي إليس وبيسا. فقد تحالفت إليس (غرب شبه جزيرة البلوبونيز) مع اسبرطة ضد حلف أركاديا المناصر لطيبة (إپامينونداس) وذلك لمحاولة إليس استعادة سيطرتها على منطقة تريفيليا (غرب شبه جزيرة البلوبونيز) في وقت ضعف الحلف الأركادي. ولم تجد أركاديا وسيلة لشغل إليس أفضل من فتح جبهة القتال ضد إليس لتشغلها عن تريفيليا، ولذلك أعلنت أركاديا تأييدها لبيسا في حق الاشراف على الألعاب الأوليمبية وإقامة المهرجان الأوليمبي الثامن والسبعين تحت إدارتها. وهو الأمر الذي أدى إلى اشتعال حربٍ عام ٣٦٣/٣٦٤ ق.م. بين إليس وبيسا (الحرب المقدسة) والذي اضطرت خلاله أركاديا إلى الاقتراض من خزائن معبد زيوس في أوليمبيا لتغطية نفقات الحرب وهو ما أدى إلى استنكار المدن اليونانية واعتبرته تعديًا على الأموال المقدسة. وإزاء ذلك تقدمت أركاديا بطلب إلى طيبة للتدخل لصالحها ولكن أساءت طيبة معاملة الأركاديين وهو ما شجع الكثير في الحلف الأركادي على عداء طيبة. اُنظر: Xen., Hell., VII.4.28-40.

(31) Herman (1995), pp. 9-10; J. Wiseman (1996), "Epaminondas and the Theban invasions", De Gruyter 51, pp.177-200. pp.195, 196; M. Cary (1927), pp.101,102; Stawomir Sprawski (2017), Campaigns of Thebes, 379-362BC, New York: John Wiley&Sons Ltd. p.17.

(32) Diod., XV.87.1-2:

πολλῶν δὲ καὶ πυκνῶν φερομένων βελῶν ،τὰ μὲν ἐξένευε ،τὰ δὲ διεκρούετο ، τινὰ δὲ ἐκ τοῦ σώματος ἐξαιρῶν τούτοις ἠμύνετο τοὺς ἐπιφερομένους . ἡρωικῶς δ 'ὑπὲρ τῆς νίκης ἀγωνισάμενος καιρίαν ἔλαβε πληγὴν εἰς τὸνθώρακα .κλασθέντος δὲ τοῦ δόρατος ،καὶ τοῦ σιδήρου καταλειφθέντος ἐν τῷ σώματι ،παραχρῆμα ἔπεσε κατισχυθεὶς ὑπὸ τῆς πληγῆς. (XV.87.1).

See also: Xen., Hell., VII.5.25.

(33) Diod., XV.87.5-6.

(34) Xen., Hell., VII.5.25-27; Diod., XV.78.2.

(35) Xen., Hell., VII.5.26,27.

οὐδεὶς ἦν ὅστις οὐκ ᾤετο, εἰ μάχη ἔσοιτο, τοὺς μὲν κρατήσαντας ἄρξειν, τοὺς δὲ κρατηθέντας ὑπηκόους ἔσεσθαι· ὁ δὲ θεὸς οὕτως ἐποίησεν ὥστε ἀμφότεροι μὲν τροπαῖον ὡς νενικηκότες ἐστήσαντο, τοὺς δὲ ἱσταμένους οὐδέτεροι ἐκώλυον, νεκροὺς δὲ ἀμφότεροι μὲν ὡς νενικηκότες ὑποσπόνδους ἀπέδοσαν, ἀμφότεροι δὲ ὡς ἡττημένοι ὑποσπόνδους ἀπελάμβανον, νενικηκέναι δὲ φάσκοντες ἑκάτεροι οὔτε χώρᾳ οὔτε πόλει οὔτ' ἀρχῇ οὐδέτεροι οὐδὲν πλέον ἔχοντες ἐφάνησαν ἢ πρὶν τὴν μάχην γενέσθαι· ἀκρισία δὲ καὶ ταραχὴ ἔτι πλείων μετὰ τὴν μάχην ἐγένετο ἢ πρόσθεν ἐν τῇ Ἑλλάδι.

(36) Xen., Hell., VII.5.26,27; Polyb., IV.33.8-9; Plut., Ages., XXXV; Diod., XV. 89.1-2, 94.1.

(37) G.L. Cawkwell (1972), "Epaminondas and Thebes", CQ 22, pp.254-278. pp.274,275. وانظر: سيد أحمد الناصري (١٩٧٦)، ص٤٤٢-٤٤٤.

* تولى بالاس عرش الدولة السليوقية عام ١٥٠ق.م. بمساعدة جيش بطلمي بقيادة القائد جالايستيس ثم تزوج من كيلوباترا ثيا ابنة فيوميتور عام ١٥٠/ ١٤٩ق.م. انظر:
Diod., XXXII.27.9c notes, XXXIII.20; Joseph., XIII.80-85.

(38) Diod, XXXII.27.9c; Joseph., XIII.103-109.

يبدو أن حُسن استقبال المدن السورية لفيلوميتور أفزع بلاس وأمونيوس، وكانا رجلين مخاطرين لا خلق ولا مبادئ لهما، فتصورا أن فيلوميتور قد ينتهز الفرصة ويستولي على سوريا كلها خاصة وأنه ترك حامية من قواته في كل بلدة مر بها، وربما كان ذلك بناءًا على طلب السكان أنفسهم؛ ولذلك دبرا مؤامرة لاغتياله... في بادئ الأمر لم يدر بخلد فيلوميتور اشتراك بالاس في تلك المؤامرة وعزاه إلى أمونيوس وطلب من بالاس تسليمه إليه، وعندما رفض بالاس تسليمه اعتبر فيلوميتور ذلك دليلًا على اشتراكه هو أيضًا في مؤامرة الاغتيال. انظر: إبراهيم نصحي (١٩٨٠)، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلوالمصرية. ص. ٢٢٥.

Nick Sekundo (1995), The Ptolemaic army Seleucid and Ptolemaic reformed armies 168-145, vol.2, Montvert Publications, 2 vols. P.80.

(39) Diod., XXXII.27.9c:
ὁ δὲ τῆς μὲν βασιλείας οὐκ ὀρεγόμενος, τὴν δὲ Κοίλην Συρίαν ἐπιθυμῶν προσκτήσασθαι, συνέθετο πρὸς Δημήτριον κοινοπραγίαν ἰδίᾳ, κυριεύειν Πτολεμαΐον τῆς Συρίας, τὸν δὲ Δημήτριον τῆς πατρῴας βασιλείας.
See also: Joseph., XIII.110-115.

كان أهل إنطاكية يخشون أن يكون حكم ديمتريوس على شاكلة حكم والده ديمتريوس الأول ولذلك عرضوا (الانطاكيون) عرش دولتهم على فيلوميتور والذي رفض ذلك العرش خشية انقلاب روما عليه واكتفى باقناعهم بقبول حكم ديمتريوس متعهدًا أمامهم بأنه لن يسمح بأية تجاوزات منه وأكد لهم أن عرش مصر كان كافيًا له (مما يعني أن يكون فيلوميتور وصيًا على ديمتريوس).

(40) Joseph., XIII.116-119.

(41) Diod., XXXII.27.9d-10.1.

في اليوم الخامس عاد فيلوميتور إلى رشده لكن كانت جمجمته مكسورة وقد مات تحت يد الجراح في وقت لاحق من اليوم الخامس وكان في سن الواحد والأربعين أو الاثنين وأربعين. انظر: Sekundo (1995), p.81.

(42) Polyb., XXXIX.7.1-4.

(43) Joseph., XIII.120-121:

Παραλαβὼν δὲ τὴν βασιλείαν Δημήτριος ὁ Νικάτωρ ἐπιλεγόμενος ὑπὸ πονηρίας ἤρξατο ιαφθείρειν τὰ τοῦ Πτολεμαίου στρατεύματα, τῆς τε πρὸς αὐτὸν συμμαχίας ἐκλαθόμενος καὶ ὅτι πενθερὸς ἦν αὐτοῦ καὶ διὰ τὸν τῆς Κλεοπάτρας γάμον συγγενής. οἱ μὲν οὖν στρατιῶται φεύγουσιν αὐτοῦ τὴν πεῖραν εἰς Ἀλεξάνδρειαν, τῶν δ' ἐλεφάντων Δημήτριος ἐγκρατὴς γίνεται. Ἰωνάθης δ' ὁ ἀρχιερεὺς ἐξ ἁπάσης τῆς Ἰουδαίας στρατιὰν συναγαγὼν προσβαλὼν ἐπολιόρκει τὴν ἐν τοῖς Ἱεροσολύμοις ἄκραν ἔχουσαν Μακεδονικὴν φρουρὰν καὶ τῶν ἀσεβῶν τινας καὶ πεφευγότων τὴν πάτριον συνήθειαν.

(44) Diod., XXXIII.20:

οὗτος μετὰ τὴν ἧτταν καὶ τελευτὴν Πτολεμαίου ἐλθὼν εἰς διαβολὰς ψευδεῖς ὡς ἑκουσίως τοῖς πολεμίοις καταπροέμενος τὰ πράγματα.

* أصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس على أن يُشرك معه في حكم الإمبراطورية أخاه بالتبني لوكيوس فيروس ليبدأ بذلك عهد جديد وهو الحكم المزدوج للإمبراطورية الرومانية. انظر: سيد أحمد الناصري (١٩٩١)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، القاهرة: دار النهضة العربية. ص٢٧٧.

(45) Dio. Cass., LXXI.2.1-2:

περισχὼν πάντοθεν αὐτοῖς ἡγεμόσι κατετόξευσε καὶ διέφθειρε ،καὶ τῆς Συρίας ταῖς πόλεσι πολὺς ἐπῆει καὶ φοβερός .ὁ οὖν Λούκιος ἐλθὼν ἐς Ἀντιόχειαν καὶ πλείστους στρατιώτας συλλέξας ،καὶ τοὺς ἀρίστους τῶν ἡγεμόνων ὑφ 'ἑαυτὸν ἔχων ،αὐτὸς μὲν ἐν τῇ πόλει ἐκάθητο διατάττων ἕκαστα καὶ τὰς τοῦ πολέμου χορηγίας ἀθροίζων ،Κασσίῳ δὲ τὰ στρατεύματα ἐπέτρεψεν .

(46) Dio. Cass., LXXI.2.3:

καὶ ὃς ἐπιόντα τε τὸν Οὐολόγαισον γενναίως ὑπέμεινε ،καὶ τέλος ἐγκαταλειφθέντα ὑπὸ τῶν συμμάχων καὶ ὀπίσω ἀναχωρήσαντα ἐπεδίωξε, μέχρι τε Σελευκείας καὶ Κτησιφῶντος ἤλασε ،καὶ τήν τε Σελεύκειαν διέφθειρεν ἐμπρήσας ،καὶ τὰ τοῦ Οὐολογαίσου βασίλεια τὰ ἐν τῇ Κτησιφῶντι κατέσκαψεν .

(47) Neilson C. Debevoise (1937), A Political history Parthia, Chicago: The University of Chicago Press. pp. 250,251; William Logon Scott (2017), A new interpretation of Lucius Verus Emperor 161-169A.D, Thesis presented to the graduate school of the university of Florida in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of arts, University of Florida. p. 55.

(48) Amm. Marc., XXIII.6.24.

(49) Dio. Cass., LXXI.2.4.

(50) Amm. Marc., XXIII.6.24.

قائمة الاختصارات والمصادر والمراجع الأجنبية والعربية

أولًا: الاختصارات:

AJPh: American Journal of Philology, 1880.
CAH: The Cambridge Ancient History, 1919.
CQ: The Classical Quarterly, 1907.
LCL: Loeb Classical Library, 1911.
P&P: Past and Present, 1952.

ثانيًا: المصادر:

Ammianus Marcellinus, LCL, XI, eng. trans.: John C. Rolfe, Harverd university press, 1940. 3vols.

Appian, Roman History, LCL, I, eng. trans.: H. White, M.A., LL.D, London: William Heinemann Ltd. 1972. 4vols.

Cassius Dio Cocceianus, Roman history, LCL, I, IX, eng. trans.: Earnest Cary, London: William Heinemann Ltd., 1914, 1955. 9vols.

Cicero, De finibus bonorum et malorum, LCL, trans. By H. Rackham, M.A., London: William Heinemann Ltd., 1914.

Diodorus Sicilus, Bibliotheca Historica, *LCL*, VII: eng. trans.: by C.L. Sherman, XI, XII: eng. trans. Francis R. Walton, London: William Heinemann Ltd., 1952, 1957, 1967. 12vols.

Josephus, LCL, VII, eng. trans.: Ralph Marcus, London: William Heinemann Ltd., 1957. 9vols.

Justinus M.J., Epitome of the Philippic history of Pompeius Trogus, LCL, eng. trans.: Rev. John Selby Waston, London: William Heinemann Ltd., 1853.

Livy, LCL, IV, eng. trans.: B.O. Foster, London: William Heinemann Ltd., 1926. 14vols.

Pausanias, Description of Greece, LCL, V, eng. trans.: James George Frazer, London: William Heinemann Ltd., 1953. 6vols.

Plutarch, Lives: Agesilaus and Pompy, Pelopidas and Marcellus, *LCL*, V, eng. trans.: Bernadotte Perrin, London: William Heinemann Ltd., 1917. 11vols.

_____, Lives: Demetrius and Antony, Pyrrhus and Marius, *LCL*, IX, eng. trans. : Bernadotte Perrin, London: William Heinemann Ltd., 1920. 10vols.

Polybius, The Histories, LCL, II, VI, eng. trans.: W.R.Paton, London: William Heinemann Ltd., 1922, 1968. 6vols.

Xenephone, Hellenica, LCL, I, eng. trans.: by Carleton L. Brownson, London: William Heinemann Ltd., 1918. 3vols.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

Armstrong J. (2017), The Campaigns of Pyrrhus, 282-272BC., in: The Encyclopedia of ancient batteles, 1ed., New York: John Wily& Sons Ltd., pp. 1-10.

Astour M.C., "Ancient Greek civilization in Southern Italy", P&P, 19 (Spring, 1985), pp.23-37.
Cary M. (1920), "Roman Treaties with Tarentum and Rhodes", AJPh 35, pp. 165-173.
_____ (1927), "Thebes", CAH, vol. 6, Cambridge at the University Press, pp.80-107.
Cawkwell G.L. (1972), "Epaminondas and Thebes", CQ 22, pp.254-278.
Debevoise N.C (1937), A Political history Parthia, Chicago: The University of Chicago Press.
Dunbabin T.J. (1948), The western Greeks: The history of Sicily and South Italy from the foundation of the Greek colonies to 480 B.C., Oxford: Clarendon Press.
Franke P.R. (1989), "Pyrrhus", CAH, vol.7, part 2, Cambridge at the University Press, pp.456-484.
Herman M. (1995), The Great battles of Epaminondas: Great battles of Alexander module, New York: Deluxe.
Scott W. L. (2017), A new interpretation of Lucius Verus Emperor 161-169A.D, Thesis presented to the graduate school of the University of Florida in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of arts, University of Florida.
Sekundo N. (1995), The Ptolemaic army Seleucid and Ptolemaic reformed armies 168-145, vol.2, Montvert Publications, 2 vols.
Sprawski S. (2004), "Battle of Tegyra (375BC): Breaking through and the opening of the ranks", Electrum 8, pp.13-26.
_____ (2017), Campaigns of Thebes, 379-362BC, New York: John Wiley&Sons Ltd.
Taylor I. (1892), "The Elephants of Pyrrhus", Notes and Queries, July 2, p.17.
Tuplin C.J. (1984), "Pausanias and Plutarch□s Epaminondas", CQ 34, pp. 346-358.
Various Writers (1872), A Dictionary of Greek and Roman Geography, Edited by William Smith ,D.C.L., L.L.D., London: John Murray, 2vols.
Wiseman J. (1996), "Epaminondas and the Theban invasions", De Gruyter 51, pp.177-200.

رابعًا: المراجع العربية:

إبراهيم نصحي (١٩٨٠)، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية.
سيد أحمد الناصري (١٩٧٦)، الإغريق: تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، القاهرة: دار النهضة العربية.
_____ (١٩٩١)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، القاهرة: دار النهضة العربية.